نظرات لغوية

د. إحسان النص

ثمة ألفاظ لغوية شائعة على ألسنة المتحدِّثين وفي أقلام الكاتبين، وهي على ضربين: أحدهما مخالفة الدلالة الأصلية للكلمة، وثانيهما: أخطاء في ضبط الكلمة. وفيما يأتي أمثلة منها:

١- الحجاب

شاع استعمال هذه الكلمة للدلالة على حجب المرأة وجهها وشعرها عن الناس، واشتق منها الفعل: تحجّبت المرأة أي وضعت الحجاب، وامرأة مُحجّبة. ولكن المعنى الأصلي للحجاب إنما هو حجب النساء عن البروز إلى الرجال والاختلاط بهم، وعدم التحدّث إليهن إلاّ من وراء ستر.

كانت نساء الرسول ﷺ يتعرّضن لدى مرورهنّ في الأسواق إلى مضايقات وتحرّشات، فأمرهنّ الله في كتابه العزيز بلزوم بيوتهنّ، وألاّ يخاطبهن الناس إلا من وراء حجاب، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاء حِجَابٍ﴾ [الأحزاب٥٣]، وقوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى ﴾ [الأحزاب: ٣٣].كما أمرهنّ الله تعالى بارتداء الأثواب السابغة، وعمّم هذا الأمر على نساء المسلمين جميعًا في قوله:
﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلاَبِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلاَ يُؤْذَيْنَ﴾ [الأحزاب: ٥٩].

أما ماتضعه المرأة لستر وجهها فهو (البُرْقُع) و (النِقاب). ولتوضيح دلالات هذه الألفاظ نرجع إلى معجم (لسان العرب) فنجد:

الحِجاب: السِتْر، وقد احتجب وتحجّب: إذا اكتنّ من وراء حجاب، وامرأة محجوبة: قد سُترت بسِتر. (ومن لفظ حجب اشتُق لفظ (الحاجب) لأنه يحجب الناس عن الدخول إلى الأمير أو السلطان).

البُرقع: للدوابّ ونساء الأعراب، وفيه خُرقان للعينين. قال توبة بن الحُميّر:

وكنت إذا ماجئت ليلى تبرقعت فقد رابني منها الغَداة سفورُها

والنِّقاب: القناع على مارن الأنف، وهو البُرقع أيضًا، لا يبدو منه إلاّ العينان.

ونحوه: القِناع والمِقْنعَة: وهو ما تتقنّع به المرأة من ثوب تغطي به رأسها ومحاسنها، وقنّعت رأسها، وقَنّعتُها: ألبستها القِناع فتقنّعت. قال عنترة:

إن تُغْدِفي دوني القِناعَ فإنني طَبٌّ بأخذ الفارس المسْتَلئِمِ

وكان نفر من الشُبّان ذوي الحُسن والقَسامة يُقنِّعون وجوههم، لئلا ترى النساء حسنهم فيُفتنَّ بهم، ومنهم: المقنِّع الكندي الشاعر، واسمه محمد بن عُمير، جاء في ترجمته في كتاب (الشعر والشعراء): كان من أجمل الناس وأمدِّهم قامة، فكان إذا كشف عن وجهه لُقع، أي أُصيب بالعين، فكان يتقنّع دهرَه.

وثمة لفظ ثالث هو النِّقاب، وهو ما يخفي وجه المرأة دون عينيها. ومنه يقال: تنقّبت المرأة أي وضعت النقاب، وهي حسنة النِّقبة.

ومما تلبسه النساء: الخِمار، وهو ما تغطي به المرأة رأسها، وجمعه أخمرة وخُمُر، والخِمرة: خبرة المرأة في وضع الخمار وهيئة الاختمار، ومن أمثال العرب: إنّ العَوان لا تُعلّم الخِمرة، وفي التنزيل العزيز: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ ﴾ [النور: ٣١] وجيب الثوب: طوقه.

على أن استعمال الحجاب بمعنى البرقع مقبول، من قبيل التوسّع في الدلالة، لأنه يحجب الوجه ويستره.

٢– القناعة والإقناع

في اللغة: قَنِع يقنَع قناعة، فهو قَنِع وقَنُوع وقانع: رَضي، والقانع: الراضي. وفي الحديث الشريف: القناعة كَنز لا ينفَد، أي، رضا المرء بما عنده. والقُنوع: الرضا باليسير من العطاء. وأقنعني فلان: أي أرضاني. والإقناع: رفع الرأس والنظر في ذلّ وخشوع. وللفظ الإقناع معان أخرى، وليس في اللغة: أقنع الرجل برأيه،

بمعنى جعله يرى رأيه صوابًا. ولكن من قبيل التوسع الدلالي لا مانع من استعمال أقنعه برأيه بمعنى أرضاه برأيه وجعله يقبله.

٣– القَبْو

يُستعمل لفظ (القبو) لدى الناس عامة بمعنى: البناء أو المنزل الذي يقع تحت الطبقة الأولى وتحت مستوى الأرض. ولكن معنى القبو في اللغة مختلف فهو البناء المعقود بعضه إلى بعض، وجمعه أقبية، وقَبوتُ البناء أي رفعته، فمعناه في اللغة يخالف معناه عند الناس.

أما ما يكون تحت الأرض فهو (السِّرداب)، و (السَّرَب) وهو البيت تحت الأرض. وإذا كان البناء تحت الأرض مفتوحًا يمُرّ منه من مكان إلى مكان فهو (النَفَق).

٤– احتجّ

يقولون مثلاً: احتجّ العُمّال على تخفيض أجورهم. واستعمال الفعل (احتج) في هذه الجملة وأمثالها بمعنى (اعترض) غير صحيح لغويًّا. فمعنى الفعل أتى بالحُجّة والدليل. وكان الفقهاء يحتجّون بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تؤيِّد مذهبهم. وكان النّحاة القدامى يحتجون كذلك بالآيات القرآنية والأشعار على صحة أقوالهم، والاسم منه هو الاحتجاج.

وفي لسان العرب: حَجّه يَحُجّه حَجًّا: غلبه على حجته. والحُجّة: البرهان والدليل، واحتجَ بالشيء: اتخذه حجّة. وحاجّه مُحاجّةً وحِجاجًا: نازعه الحجّة. وقد ورد هذا الفعل في آيات قرآنية كثيرة، منها قوله تعالى:

﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلّهِ﴾ [آل عمران: ٢٠].

أما احتجّ بمعنى اعترض فلا وجود لهذه الدلالة في اللغة، وإنما يُقال: اعترض العُمال على تخفيض أجورهم، والاسم: الاعتراض، ويستعمل بهذه الدلالة

الأفعال: اعترض، ورفض، واستنكر، ونحوها.

٥– الرَّقَم والرَّقيم

استعمال لفظ الرقم (بفتح القاف وتسكينها)، وجمعه أرقام، بمعنى العدد، لا وجود له في اللغة، وفي لسان العرب: الرَّقْم والترقيم: تعجيم الكتاب – أي وضع النقاط على الحروف المعجمة –، وكتاب مرقوم: أي قد بُيّنت حروفه بعلامات التنقيط. وقوله تعالى: ﴿كِتَابٌ مَّرْقُومٌ﴾ [المطففين: ٩] أي كتاب مكتوب، ومنه المرقَم وهو القلم، والرَّقْم: الكتابة والختم، ورقمت الثوب: كتبت ثمنه عليه.

والصواب أن نستعمل لفظ (العدد) مكان (الرقم)، وهو ما يقابل لفظ Nombre بالفرنسية و Number بالإنكليزية.

أما لفظ (الرَّقيم) الذي ورد في القرآن في قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ [الكهف: ٩]، فقد اختلف المفسرون واللغويون في معناه، ومن المعاني التي ذكروها: الدَّواة، واللّوح، والجبل الذي كان فيه الكهف، ولوح رصاص كُتبت فيه أسماؤهم وأنسابهم وقصصهم وممّ فرّوا، والقرية التي خرجوا منها، والكتاب، والوادي.

وهذا اللفظ قد يكون من الألفاظ المعرّبة الواردة في القرآن الكريم، وأكثر أهل اللغة على أن المقصود بالرقيم هو الكتاب، وهو فَعِيل بمعنى مفعول، أي مكتوب. وفي الحديث الشريف: «كان يُسوّي بين الصفوف حتى يدعها مثل القِدْح أو الرَّقيم»، أي حتى لا يُرى فيها عوج كما يقوّم الكتاب.

٦– دان وأدان

يتردد في وسائل الإعلام لفظا (دان) و (أدان) بمعنى استنكر الأمر وأصدر حكمه عليه لكونه من الجرائم السياسية أو الإنسانية أو لمخالفته القوانين والأعراف المرعيّة، ونحو ذلك وليس في اللغة مايُجيز استعمال هذين الفعلين بهذه

الدلالة، فنجد للفعل (دان) معاني مختلفة منها: دان بمعنى خضع يُقال: دان الرجل لخصمه أي خضع له، ودانه: أذلّه وقهره واستعبده. يُقال: دِنتُهم فدانُوا، أي قهرتهم فخضعوا. قال الأعشى:

هو دان الرّباب إذ كرهوا الدَّ – يْن دِراكًا بغزوةٍ وصِيالِ

ودانه: أعطاه دينَه. ودان فلانٌ يدين دَينا: استقرض وصار عليه دين فهو مَدِين. وهذا الفعل من الأضداد، ومنه قول الشاعر:

أَدِين وما دَيني عليكم بمَغرم ولكن على الشُّمّ الجِلاد القراوح

والدَين أيضًا: الجزاء والمكافأة. يُقال: دِنتُه بفعله دَينا، أي جزيته. وفي المثل: كما تَدِين تُدان، أي كما تجازي الناس يجازوك. قال خويلد بن نوفل الكلابي:

يا حارِ أيقِن أنّ مُلكك زائل واعلم بأنّ كما تَدين تُدانُ

فليس بين معاني الفعل (دان) مايدل على إنكار الأمر، والصواب أن يُقال: أنكر هذا الأمر واستنكره واعترض عليه ورفضه.

أما الفعل (أدان) فهو أيضًا لا يؤدّي معنى الرفض والإنكار، ومعنى أدان: أعطى دينًا إلى أجل. قال أبو ذؤيب الهُذلي:

أدان وأنبأه الأوّلون بأن المِدانَ مَلِيٌّ وفيّ

وأدنت الرجل: استقرضت منه دينًا. وأدان: باع إلى أجل، وأدان الرجلُ: أدّى ما عليه من دَين.

٧– الدَّبّابة والسيّارة

يظنُّ بعضهم أن هاذين المصطلحين هما من المبتكرات المحدثة، فالدبابة هي السلاح الحربي المعروف، والسيارة هي أداة الانتقال المعروفة، ولكن هاتين الكلمتين عُرفتا منذ القديم، ولكن اختلفت دلالتهما القديمة عن دلالتهما المحدثة، فالدبّابة كانت تُطلق على أنواع الحيوان الضعيفة التي تدبّ في المشي ولا تُسرع، وفي الحديث الشريف: «وحملَها على حِمار من هذه الدَبّابة». والدبّابة أيضًا آلة

تُتخذ للحروب، يدخل فيها الرجال ثم تندفع لتنقب جدارًا أو حصنًا، وهي تُتخذ من جلود وخشب. وفي حديث عمر، رضي الله عنه، قال: كيف تصنعون بالحصون؟ قالوا: نتخذ دبّابات يدخل فيها الرجال. وهذه الدلالة هي التي أوحت إلى المحدثين بإطلاق لفظ الدبّابة على الآلة الحربية المعروفة اليوم.

أما السيّارة فهي في اللغة: القافلة، والقوم يسيرون. وفي التنزيل العزيز: ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لاَ تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ﴾ [يوسف: ١٠] وقوله تعالى أيضًا: ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ﴾ [يوسف: ١٩]. وإطلاق لفظ (السيارة) على أداة الانتقال مقبول، فهي مشتقة من السير.

٨– الماكيّاج

يُطلق اليوم لفظ (الماكياج) بمعنى التزيين والتجميل للمرأة بأدوات الزينة المختلفة. وفي العربية أكثر من لفظ يعبِّر عن هذا المعنى. منها: (التزويق)، وهو مشتق من الزاووق، أي الزئبق، وكان القدامى يجعلون الزئبق مع الذهب في التصاوير والنقوش لتزيينها، ومن ثَم قيل لكل مُنقَّش: مُزوَّق، وأُطلق هذا اللفظ على كل شيء مزيَّن. ومن المجاز: زوّق الكلام: حسّنه. وقد ورد في بعض المعجمات: الزَّواق: زينة المرأة.

ومن الألفاظ التي تؤدّي هذا المعنى أيضًا: الزِّينة، تزيّنت المرأة وازدانت.

فإذا أظهرت المرأة زينتها ومحاسنها للرجال قيل: تبرَّجت. وفي التنزيل الحكيم قوله تعالى يخاطب نساء الرسول ﷺ: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى﴾ [الأحزاب: ٣٣].

وقد استعمل المتنبي لفظ (التطرية) بمعنى التزيين واستعمال أساليب التجميل في قوله:

ما أوجُهُ الحَضَر المستحسناتُ به كأَوجُه البدويّات الرَّعابيبِ
حسنُ الحضارة مجلوبٌ بتطريةٍ وفي البداوة حسنٌ غير مجلوب